

نقض منح ترابص الصحراء الغربية: لا ينبغي معاملة الشعب الصحراوي كأشياء للمقايضة.

"دوغ بانءو" *31 ديسمبر 2020

هل "مايك بومبيو" هو أسوأ وزير خارجية في تاريخ الولايات المتحدة؟ هذا ممكن ، على الرغم من أن لديه الكثير من المنافسة. إنه أمر ممكن، على الرغم من أنه يتمتع بقدر كبير من المنافسة.

من المؤسف أنه يبدو عازما على الاستمرار في أنشطته الخبيثة حتى آخر يوم له في منصبه. وكان آخر عمل فظيع قام به هو شراء دعم المغرب لتطبيع العلاقات مع إسرائيل من خلال تأييد استيلاء المغرب على الصحراء الغربية.

لم يكن للرباط أي ادعاء قابل للتولين، ديني أو ثقافي أو عرقي أو اقتصادي أو تاريخي في الإقليم، ولهذا السبب لم يقبل أي بلد أو منظمة أخرى الضم رسميا. وأكدت محكمة العدل الدولية والأمم المتحدة حق الشعب الصحراوي في تقرير المصير. ومع ذلك ، فإن إدارة ترابص تدعم المعتدي. للأسف ، أشار ستيفن زونس من جامعة سان فرانسيسكو: "إن فشل المجتمع الدولي في إجبار المغرب على الوفاء بالتزاماته القانونية الدولية هو ما أدى إلى أزمة الصحراء الغربية في المقام الأول".

لعب الملك محمد السادس ب "بومبيو" براءة، و ربح شيء مقابل لا شيء تقريبا. حتى أن الأول لم يوافق على فتح سفارة، على الرغم من مزاعم العلاقات العامة الأميركية السخية. ففي لعبة بوكر التجرد مع العاهل المغربي، سوف يكون وزير الخارجية الأميركي عاريا بعد الجولة الأولى. وقد اشتكى جيم إنهوف رئيس لجنة الدفاع في مجلس الشيوخ قائلًا: "كان بوسعه أن يقوم بهذه الصفقة من دون مقايضة حقوق من لا صوت لهم".

ومع ذلك، فإن الجزء الأسوأ من الاتفاق هو الجوهر. مئات الآلاف من الصحراويين يعانون بسبب القمع الوحشي المغربي القاسي على الأراضي. وتعترف وزارة الخارجية بأن ليس كل شيء على ما يرام بالنسبة لهؤلاء الذين يعيشون تحت حكم الرباط، حيث تتضمن قضايا حقوق الإنسان ما يلي: "ادعاءات بالتعذيب على أيدي بعض أفراد قوات الأمن، رغم أن الحكومة أدانت هذه الممارسة وبذلت جهوداً للتحقيق في أي تقارير ومعالجتها؛ ادعاءات بوجود السجناء السياسيين؛ فرض قيود لا مبرر لها على حرية التعبير، بما في ذلك تجريم التشهير وبعض المحتويات التي تنتقد النظام الملكي وموقف الحكومة فيما يتعلق بوحدة الأراضي؛ فرض قيود على حرية التجمع وتكوين الجمعيات؛ والفساد". وفوق كل هذا، كان هناك "تصور واسع النطاق للإفلات من العقاب".

ومع ذلك ، فقد عامل "بومبيو" هؤلاء الصحراويين كما فعل المغرب - كغنائم للغزو، وأشياء تتم مقايضتها في سبيل الحصول على مكاسب جيوسياسية. و اشتكى سيدي محمد عمر، ممثل جبهة البوليساريو في الأمم المتحدة، من أن تصرف ترابص كان "انتهاكا صارخا لميثاق الولايات المتحدة وقرار الشرعية الدولية".

ومع الانهيار الواضح لوقف إطلاق النار الذي دام نحو ثلاثة عقود بين الرباط والصحراويين في الشهر الماضي، قد يؤدي تحرك واشنطن إلى إضافة البنزين إلى النار. "هذه الخطوة تجعل حل نوبة العنف الحالية أكثر صعوبة"، أكد ريكاردو فابيانى من مجموعة الأزمات الدولية: "وهذا ما سيجعل الشباب الصحراوي أكثر غضبا وحشدا والتزاما بحل النزاع بالقوة."

هذا ليس تهديدا فارغا بالنسبة لتقييم الكلية الحربية للجيش الأمريكي الذي حذر: "تشير عمليات الاختطافات والاعتقالات إلى أن المنظمات الإرهابية والإجرامية، بعضها على صلة بالقاعدة، تحاول التسلل إلى الصحراء الغربية ومخيمات اللاجئين، على الرغم من أن قادة البوليساريو يحاولون على ما يبدو إبعادهم. ومع ذلك، فإن مثل هذه الاختراقات قد تهدد الأمن الإقليمي".

الغريب أن عملية بيع "بومبيو" الخطيرة لا تفيد حتى أمريكا. على الرغم من أن الولايات المتحدة تستفيد عموما من العلاقات الأكثر سلاما بين الدول الأخرى، إلا أن المغرب وإسرائيل لم يكونا في حالة حرب. في الواقع أجهزة الأمن في هذين البلدين تعاونت طويلا في الظل. بل وافتح البلدان مكاتب اتصال أغلقت عام 2000 بعد اندلاع الانتفاضة الثانية. محمد السادس، مثل ملوك الخليج، براغماتي ويخشى العديد من القوى الراديكالية نفسها التي تتخوف منها إسرائيل. ومع ذلك، فإن إسرائيل لا تحظى بشعبية في أوساط المغاربة والاعتراف الكامل بها من شأنه أن يقوض الملك، الذي يرجع نسبه إلى النبي محمد.

ومع ذلك ، فإن ما يسمى بالاتفاقات الإبراهيمية كانت بمثابة إضافة سياسية لرئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو"، حليف "ترامب" اليميني المتشدد الذي يواجه المحاكمة بتهمة الفساد. لقد باع الوزير شعبا بأكمله وحطم سمعة أميركا لصالح رجل مكرس لإنشاء "إسرائيل الكبرى" التي يحتجز فيها الفلسطينيين في عبودية سياسية كقوة عمل أسيرة. إنها غاية سيئة السمعة تم تحقيقها بوسائل سيئة السمعة أيضا.

كانت الصحراء الغربية مستعمرة إسبانية تخلت عنها مدريد، التي تخلت أخيرا من ديكتاتورية فرانسيكو فرانكو بوفاته، في عام 1976. يتحدث الصحراويون في الغالب العربية وبعض البربرية، و عرقيا هم مزيج من العرب والبربر و الأفارقة السود. و دون أدنى مراعاة لإرادة السكان، قسمت إسبانيا مستعمرتها بين المغرب وموريتانيا. عدد السكان المعنيين بالضبط موضع خلاف: و تصل التقديرات إلى 400,000، حيث ينتشر الصحراويون عبر المغرب والصحراء الغربية والجزائر، و يوجد معظمهم في مخيمات لاجئين.

ظهر تمرد من قبل جبهة البوليساريو. امتلك المغرب تفوقا تقليديا ولكنه واجه صعوبة في التعامل مع هجمات حرب العصابات التي تشنها جبهة البوليساريو. فر عشرات الآلاف من اللاجئين إلى مخيمات في الجزائر. أعلنت جبهة البوليساريو قيام الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية. بعد أربع سنوات، تخلت موريتانيا عن حصتها في الصحراء الغربية واعترفت بالجمهورية الصحراوية، لكن الرباط قامت على الفور بضم هذه الأراضي أيضا. وصفت الكلية الحربية للجيش الصراع بأنه "وحشي" وخلصت إلى أن قرار المغرب ببناء "حاجز رملي" في محاولة لاستبعاد الصحراويين "يشير إلى اعتراف القادة المغاربة بأن الهزيمة الحاسمة لجبهة البوليساريو لم تكن ممكنة ؛ ومن ثم ، تبنت الرباط استراتيجية دفاع ثابت".

في عام 1991، اتفق الطرفان المتحاربان على وقف إطلاق النار والاستفتاء على الاستقلال، لكنها وصلت إلى طريق مسدود بشأن من يمكنه التصويت. في نهاية المطاف، عرض المغرب درجة من الحكم الذاتي بدلا من ذلك وامتنع عن إدراج الاستقلال كخيار. لكن في هذه الحالة، كان التصويت لا معنى له أساسا. وكانت القوات المغربية خرقت الشهر الماضي وقف إطلاق النار بدخولها المنطقة العازلة. ليس من الواضح ما إذا كانت النتيجة ستكون قتال على غرار مسرح كابوكي أو صراع حقيقي.

صحيح أن الفتوحات الإقليمية هي طريق العالم، وزعم "يوجين كونتوروفيتش" من كلية الحقوق بجامعة جورج ميسون: "من غير الدقيق أيضا القول بأن الدبلوماسية الأمريكية والقانون الدولي يمنعان بشكل صارم الاعتراف بالتغييرات الإقليمية القسرية. من ناحية، يعارض القانون الدولي العدوان ويكره مكافأته. ومن ناحية أخرى، فإن الدبلوماسية تتعامل في الواقع، وليس مجرد المثل. في حين أن الاعتراف بمثل هذه التغييرات الإقليمية قد لا يأتي بسرعة، فمن غير الواقعي أن نتوقع أن سيادة الدولة التي تحكم إقليما ما يمكن أن تُحرم إلى ما لا نهاية".

ومع ذلك، لا شيء يجبر واشنطن على التخلي عن المبدأ في هذه الحالة. هناك حجة أقوى للاعتراف بالواقع في الاستيلاء غير القانوني الذي يفضل السكان، كما هو الحال في شبه جزيرة القرم من قبل روسيا (أجرت موسكو استفتاء لكنها فشلت في تلبية أي معيار للعدالة). علاوة على ذلك، فإن الولايات المتحدة لديها حاجة أكبر للتعامل مع قوة عظمى مثل روسيا. وبالتالي، فإن أفضل رد من الغرب سيكون الاعتراف بسيطرة موسكو الفعلية دون قبول اختصاصها القانوني.

لكن في حالة الصحراء الغربية، فإن واشنطن تفضل العدوان دون سبب وجيه. لقد ميز "كونتوروفيتش" بين غزو شعب في دولة قومية قائمة وفي دولة قومية وليدة فقط، مثل الصحراء الغربية. لكن من غير المرجح أن ينتبه المعتدون المحتملون إلى هذه التفاصيل الدقيقة. كما حذر "زونس": "الاستمرار في تقديم طلب المغرب في الأمم المتحدة من شأنه أن يرقى إلى مستوى التأييد الضمني للدول التي توسع أراضيها بالقوة، وهي صفقة لجميع الذين يسعون إلى تعزيز حق تقرير المصير عالميا". وينبغي ألا يحصل المغرب على تصريح لأن سيادة الشعب المغربي لم تكن معترفا بها من قبل.

في الواقع، سيتم قياس فائدة الاتفاقية حتى للرباط. لا أحد آخر يعترف بسيطرته بينما ما يقرب من دولتين مسجلتين تعترفان أو لديهما اتصالات دبلوماسية مع الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية. هذه الأخيرة أيضا عضو في الاتحاد الأفريقي، تم قبولها على الرغم من اعتراض المغرب. الدعم الأمريكي لا يغير القانون الدولي. علاوة على ذلك، ستتذكر معظم الدول هذا الموقف باعتباره إدارة "ترامب" أكثر من السياسة الأمريكية، وبالتالي فهو موضع شك بالفطرة. لا أحد ينظر إلى "بومبو"، أو الرئيس "دونالد ترامب"، كزعامة دولية قائمة على المبادئ.

فضلا عن ذلك، قد لا يستمر بيع الصحراويين. يمكن لإدارة بايدن القادمة أن تعود بسهولة إلى الموقف السابق لواشنطن. لا مفر من عدد من التغييرات في السياسة الخارجية، بدءا من الحرب الاقتصادية التي تشنها الإدارة على إيران. إن إضافة تعديل آخر سيتطلب القليل من الجهد ويثير القليل من الاعتراضات في الخارج.

وشجب "كونتوروفيتش" مثل هذه المقترحات "لخيانة التزامات الولايات المتحدة للمغرب" خشية أن تتخلى الرباط عن الاتفاق مع إسرائيل. لكن سيكون أسوأ منه خيانة الشعب الذي لم تستشره سلطات الاحتلال فيما يتعلق بإرادتهم. و يعيش ما يقرب من 200,000 لاجئ في مخيمات في الجزائر. و ذكرت سوزان شولت، التي ترأس مؤسسة الصحراء الغربية الأميركية، أنهم "عاشوا كلاجئين بلا مأوى منفصلين" لسنوات "عن الأجداد والآباء والأمهات والإخوة والأخوات المحاصرين في الصحراء الغربية المحتلة". لقد زرت بعض المخيمات في الصحراء الجزائرية وتم وصف الطبيعية بدقة على أنها تشبه إلى حد ما كوكب حرب النجوم المقفر في تانوين. إنها حياة صعبة، حياة لا ينبغي أن يتمناها أحد لأي كان. ومن المؤكد أن الصراويين يستحقون أن يستشاروا بشأن مصيرهم.

وعلى الرغم من أن الرباط قد تتراجع عن اتفاقها، إلا أنها لا تفعل ما اقترحته واشنطن، بل إنها تعيد فتح مكاتب الاتصال المغلقة. وفي الواقع، قال وزير الخارجية ناصر بوريطة "من وجهة نظرنا، نحن لا نتحدث عن التطبيع لأن العلاقات كانت طبيعية". علاوة على ذلك، فإن التحول من شأنه أن يعترف للعالم - والأهم من ذلك، شعبه - أن قبوله لإسرائيل قد تم شراؤه. في الواقع، احتج المغاربة عندما تحرك الملك السابق نحو إقامة علاقات رسمية مع إسرائيل، مما جعله يتراجع. سبق لسيد محمد عمر أن أوضح هذه النقطة: الاتفاق "يظهر أن النظام المغربي مستعد لبيع روحه للحفاظ على احتلاله غير الشرعي لأجزاء من الصحراء الغربية". ربما تفضل الرباط الصمت على الإحراج.

ومع ذلك، فقد قام بومبيو، بعد أن باع بلا خجل الشعب الصراوي، بمضاعفة قوته مع اقتراجه من رحيله السيئ السمعة. لقد أعلن عن خطط لفتح قنصلية في الصحراء الغربية. قد تكون هذه محاولة لجعل من الصعب على إدارة بايدن القادمة نقض مسارها، أو الرغبة في إقناع المغرب باختيار الاعتراف الكامل بتقديم هدية أخرى لتتياها أو كليهما. ومن المفارقات أن حقيقة أن سياسة الصحراء الغربية معترف بها على نطاق واسع على أنها تهدف إلى تحقيق المنفعة الشخصية لتتياها مما قد يشجع على تراجع بايدن.

الصحراء الغربية هي واحدة من العديد من المشاكل الدولية التي لم تجد إجابة. الرباط، من خلال مزيج من النشاط العسكري ونقل السكان، جعلت من الصعب إجراء استفتاء عادل و نزيه. علاوة على ذلك، فإن الالتزام الديمقراطي لجهة البوليساريو، الذي بدأ بمساعدة الكتلة السوفيتية، لم يختبر بعد.

ومع ذلك، فإن السيطرة المغربية على المنطقة لا تزال تشكل إهانة للعدالة. وفي الشهر الماضي فقط، أفادت هيومن رايتس ووتش أن "قوات الأمن فضت مظاهرات مؤيدة للاستقلال وضابقت، وضربت، واعتقلت، وهاجمت منازل العديد من الناشطين". هذا هو إجراء التشغيل القياسي. على مر السنين "منعوا التجمعات الداعمة لتقرير مصير الصراويين، وضربوا الناشطين في سجونهم وفي الشوارع، وسجنوا وحكموا عليهم في محاكمات شابتها انتهاكات الإجراءات القانونية الواجبة، بما في ذلك التعذيب، وأعاقوا حريتهم في التنقل، واتبعوهم علانية".

وبالتالي، لا ينبغي التغاضي عن سرقة الرباط الجيوسياسية الكبرى كجزء من صفقة فاسدة لمساعدة حليف مشبوه في الإدارة في مشكلة سياسية. ينبغي أن يكون أي قبول لسيطرة المغرب على الأراضي التي تم الاستيلاء عليها محميا ومحدودا ومشروطا؛ وينبغي حماية حقوق الشعب الصراوي. والأهم من ذلك، يجب تصميم السياسة لتعزيز مصلحة أمريكا، وهو مبدأ غاب عنه بومبيو منذ فترة طويلة.

*دوغ باندو هو عضو أول في معهد كاتو. مساعد خاص سابق للرئيس رونالد ريغان ، وهو مؤلف كتاب الحماقات الأجنبية: إمبراطورية أمريكا العالمية الجديدة.